يوميات نائب في الأرياف

للأستاذ توفيق الحكيم

٢٠ اكتوبر . . .

قمت فى الصباح بجرد خزينة المحكمة . فالنيابة هى التى من شأنها مراقبة الخزينة ، وعليها أن تقوم بهذا الجرد مرتين على الأقل فى كل شهر بطريق المفاجأة . ويظهر أن كلمة « المفاجأة » وضعت فى اللوائح والتعليمات من قبيل التشويق كما توضع فى الاعلانات ، فهى فى العمل لا وجود لها . وقد جرت العادة أن ينسى وكيل النيابة لكثرة مشاغله هذا الجرد فلا يذكره به إلا الصراف المقصود مفاجأته . فهو الذى يطالب فى إلحاح حضور البك الوكيل للجرد حتى يسدد الخانة طبقاً للقانون . وفى أكثر الأحيان لا يشعر وكيل النيابة إلا وقد فوجىء هو بالدفتر الخاص بالخزينة يعرض عليه مع المحضر محرراً باسمه « نحن فلان وكيل النيابة قمنا اليوم بجرد الخزينة ، فوجدنا بها كذا أوراقا مالية وكذا فضة وكذا أشياء ثمينة وكذا أمانات » فيوقع وهو لم يتحرك من كرسيه وهو يقول : « خذوا إمضاء وخلوا عنى بلا وجع دماغ » . غير أنى أنا شخصياً أنتقل بالفعل وأشاهد الخزينة وإن كنت أوقع آخر الأمر على كل حال دون أن أطيق صبراً على عد النقود التى توضع أمامى . وانتهيت من هذه المأمورية ، وعرجت على مخزن النيابة فى طريقى أفتشه « بالمرة » وهو عبارة عن حجرة تشبه دكان «ألف صنف» فيها من أصناف البنادق والغدارات الريفية والسكاكين والشراشر والمناجل والفؤوس والياط والنبابيت والهراوات و « اللبد » و « البلغ » و « الجلابيب » الملطخة بالدم والطين و « الصدارى » المثقوبة بالرش والبارود ؛ كل عليه رقمه وتاريخ ضبطه ورقم القضية التى ضبط على ذمتها . وعندى أن نظرة واحدة تلقى على مخزن نيابة أى بلد تدل فى الحال على لون هذا البلد وعقليته ودرجة حضارته . ولا شك عندى فى أن مخزن نيابة « شيكاغو » مثلا لا يمكن أن يحوى مطلقاً هراوة أو شرشرة .

وصعدت بعد ذلك إلى مكتبى ، فوجدت حضرة القاضى : « المقيم » فى الانتظار وقد أحضر له الفراش القهوة . فما كاد يرانى حتى صاح :

— خلاص ، الفوضى دبت فى البلد !

فأردت أن أفتح فى أسأله الافصاح ؛ فلم يمهلنى ومضى يقول :

— راحت هيبة الأحكام !

— إيه المسألة ؟

— المسألة ياسيدى أنى أصدرت حكما مدنياً ضد عمدة من الموالين للحكومة وراح المحضر ينفذ عليه ، تعرف حصل إيه ؟

— لأ

— انضرب بمرفة العمدة « علقة » لكن « نضيفة » وانحبس أربعة وعشرين ساعة فى حجرة التليفون

— والمركز عمل لها قضية ؟

— أبداً . ماهى هنا الخطورة . لا قضية ولا مذكرة ، ضحكوا على المحضر وقالوا له يسحب شكواه وصرفوها

— ما داموا صرفوها انتهينا

— انتهينا ازاى ؟ أنا لا يمكنى أسكت عن مسألة زى دى . دا اسمه إجرام ! البوليس يجرم ...

— يظهر أن حضرتك اشتقت لحر وجه قبلى

— ينقلوا قاضى وجه قبلى لأنه أراد منع المركز من العبث . . . ؟

— عملوها كثير . وسبق نقلوا قاضى أقاصى الصعيد لأنه أفرج فى قضية معارضة عن متظاهرين ضد الحكومة ، مع أن هذا القاضى كان من المحايدين البعيدين عن الأحزاب وعن السياسة . ولا يخفى أن بينك وبين المأمور سوء تفاهم عائلى . وساعتها تلقى المأمور حرر التقارير السرية عنك واتهمك بأنك من خصوم الحكومة ، وأنك من أرباب الفتن والدسائس ، وأنك تضطهد أنصار الوزارة ، وأنك خطر على سياستها الحاضرة إلى آخر هذا الأسلوب المعروف

— شىء جميل . البوليس يحرر التقارير السرية ضد القضاة ؟ !

— حصل

— والعمل إيه ؟

— اترك لى المسألة . أنا أتحرى من المركز بلطف وأجرى اللازم . . .

— لهذا الحد تعبث السياسة عندنا بالعدالة والنظام والأخلاق ، أعوذ بالله ! شىء مخيف . . . !

وجعل يهز رأسه أسفاً وحنقاً . ثم التفت إلى فجأة وقال :

— دا صحيح . تصور أن فضيلة القاضى الشرعى « الضلالى » عامل اليوم أنه صديق المأمور الحميم مع أنه كان يكرهه كراهة التحريم من بعد حادثة الأجزاخانة !

فأبديت عجبى . إنى حقيقة كنت قد سمعت من المأمور فيما سمعت من أخبار القاضى الشرعى هذه الحادثة : إن أهالى البلد وأعيانها لاحظوا افتقار البلد إلى أجزاخانة « أصولية » تغنيهم عن البنادر الكبيرة فاكتتبوا فيما بينهم بمبالغ أسسوا بها أجزاخانة نظيفة كاملة الأدوات ، وعينوا لها « أجزجى » قانونى هو رجل سورى اسمه « جبور » ثم تباحثوا فيمن يصلح مشرفاً على مالية هذه الأجزاخانة وعلى إدارتها ، ووقع الاختيار فى آخر الأمر على فضيلة القاضى الشرعى . ومن غير فضيلته بلحيته الوقورة وسبحته الطويلة يؤتمن فى هذه البلدة على أموال المسلمين وغير المسلمين من المساهمين ؟ ووافق المأمور على تنصيب القاضى الشرعى مشرفاً

وتكرم فضيلته وتسلم مهام عمله بأن جعل مجلسه عصر كل يوم أمام باب الأجزاخانة حيث يتنحنح ويبدأ باسم الله والصلاة على نبيه وآله وصحبه . ثم يصيح :

— يا خواجه جبور . القهوة والشيشة !

ثم يجتمع عليه من أصدقائه وأقاربه الآنيين من الكفور عدد كثير كل يوم ، فيأمر لهم بالقهوة أو الشاى . وكل هذه الطلبات طبعاً على حساب الأجزاخانة ، وهو لاينسى مطلقاً أن يلق نظرة على مستحضرات المحل قبل انصرافه وهو يقول لجبور :

— عندك صابون ممسك من العال ! زجاجة « الريحة » « الكلونيا » دى لا بأس بها ! ..

ولا يكاد يدخل فضيلته منزله حتى تكون هذه البضاعة التى أعجبته قد سبقته إلى البيت . ويجلس أحياناً أطفاله إلى جواره بباب الأجزاخانة أو يتركهم يلعبون حوله . فاذا جاءوا أو بكوا صاح القاضى فى الأجزجى القانونى :

— يا خواجه جبور ! هات للأولاد كم قرص نعناع من عندك !

ويحتاج فضيلة المشرف إلى بعض المال فى بعض الأحيان فيقول للأجزجى :

— هات من « الدرج » أربع « برايز »

وتمر بائعة دجاج فيشترى منها فضيلته « زوجين » « عتاق » ويصيح فى الأجزجى داخل الأجزاخانة :

— ادفع لها من « الدرج » يا خواجه جبور

وضاق ذرع الأجزجى جبور آخر الأمر . فصاح فى القاضى ذات يوم :

الدرج ! الدرج ! شوها العما بها الدرج !

ونشب الشجار بين المشرف والأجزجى . وأقسم جبور أن يكسر ساق القاضى إذا حضر إلى الأجزاخانة بعد ذلك . واستغاث بالمأمور ، وعرض عليه ما وصلت إليه حالة الأجزاخانة . فاذا هى موشكة على الافلاس ، فقد اختفت مستحضراتها ونضبت مواردها ، ولم يبق أمل فى بقائها ؛ فان الأجزجى هو الآخر إقتداء بفضيلة المشرف الوقور لم يقصر فى الاجهاز من جهته على الباقى من « الدرج » والبضاعة والأدوات ، وتغيظ المأمور وصاح فى الأعيان المساهمين :

— الحق علينا اللى صدقنا اللحية والسبحة !

ومنذ ذلك اليوم والمأمور دائم التشهير بالقاضى الشرعى قائلاً عنه : « الرجل الضلالى » . والقاضى الشرعى من جهته دائم النيل من المأمور قائلاً عنه : « الرجل الزنديق لاعب الميسر »

ولكن السياسة قد جعلت رجال الادارة اليوم أصحاب سلطة مخيفة . وقد خشى فضيلته على نفسه ، ورأى بحكمته أن الأمان فى مصاحبة المأمور . فهل يحجم عن التقرب إليه والتزلف له ؟

مر بخاطرى كل ذلك وأنا جالس وأمامى القاضى الأهلى ، ولم أتمالك فقلت كالمخاطب لنفسى :

— لا بأس من الصلح ، لكن فى الظروف الحاضرة ... فيه شىء اسمه كرامة ...

فرفع القاضى يده فى حركة ذات معنى وقال :

— كرامة مين « يا مونشير » !

ونهض يريد الانصراف وهو يميل علىّ ويقول بصوت منخفض :

— كلام فى سرك . فى يوم حضر الى بيتى فلاح ومعه خروف وقال « الهدية » . فقلت له : « هدية إيه يا رجل » ؟ فقال : « الهدية اللى تم

عليها الانفاق علشان رد الولية امراتى » . ففهمت وقلت له فى الحال : « انت يا رجل غلطت فى البيت انت قصدك القاضى الشرعى » ! !

فلم أبد دهشة كبرى وأطرقت برأسى . وسكت القاضى محدثى قليلاً . ثم تحرك نحو باب الحجرة وحيانى بيده تحية مختصرة وذهب . وجلست وحدى قليلا أفكر فى كل ذلك . ورأيت أن أقوم الى المركز فى شبه زيارة خاصة لأستطلع من المأمور عما أخبرنى به القاضى . فانطلقت بمفردى وخلى حاجبى حتى بلغت حجرة المأمور ، فوجدته فى هذه المرة أيضاً مع أحد العمد يحادثه فى شبه عنف ولم تكن سيما هذا العمدة تنم عن يسر ولا عن وقار ، ويخيل إلى أنه من أحلاف العمد . « فالعمدة كالجرادة » يتخذ شكل الأرض التى يولد فيها . فالأرض الخضراء تخرج الجراد الأخضر ، والأرض الفحلاء تخرج الجراد الأغبر . وهذا العمدة الأغبر لا شك من بلاد قاسية فقيرة على حدود المركز قريبة من الصحارى . وسلمت على المأمور وقلت له باسماً :

— دايماً مع العمد !

فقال فى نبرة تعب :

— نعمل إيه يا سيدى !

ثم أجلسنى وطلب لى القهوة . إذ على الرغم من اعتكافى عنه وعن ناديه ، فهو يحترمنى ولا يحمل لى ما يحمله لغيرى من الضغن . فانى حريص دائماً مع رجال الادارة على تنفيذ أوامرى فى مظهر بسيط لا يشعرهم بغضاضة الأمر . واستأذننى المأمور فى إتمام حديثه مع العمدة لينتهى من شأنه ويتفرغ لى فأذنت له . فالتفت الى الرجل وقال له فى صياح وتهديد :

— طوّل بالك ، انت يظهر عليك إنك مش عارفنى . والله لا بد من انى ...

فقاطعه العمدة مستعطفاً :

— أنا رجل غلبان ...

فمضى المأمور فى وعيده :

— انتظر ! إن ما كنت أدخلك البرلمان ، ما اسمش أنا مأمور المركز !

— ليه أنا عملت إيه بس تدخانى البرلمان !

قالها الرجل فى توسل وارتياع . فضحكت وعجبت . والتفت إلىّ المأمور قائلا :

— كشوف الانتخابات فى جيبه ومش عارف البرلمان ده يبقى إيه . أهم عمد نشتغل معهم !!!

ثم عاد المأمور والتفت إلى الرجل قائلاً :

— تفضل من غير مطرود !

فخرج العمدة ذليلاً كأنه خادم أو مجرم ، وقلت فى نفسى هذه الذلة التى يذوقها فى حضرة رجال الادارة لن تذهب سدى ، فهو سيذيقها بعينها لأهالى القرية التى يحكمها ، فان كأس الاذلال تنتقل من يد الرئيس إلى المرؤوس فى هذا البلد حتى تصل فى نهاية الأمر إلى جوف الشعب المسكين يجرعها دفعة واحدة

وجلس إلىّ المأمور يعرف سبب « تشريفى » المركز بالزيارة ، فأخبرته أنه « الشوق » ، فابتسم المأمور ابتسامة غير المؤمن بهذا السبب الأفلاطونى ، ولم أصرّ كثيراً على كلمتى ، وقلت فى هيئة الجدّ :

— بلغنى يا حضرة المأمور أن أحد المحضرين ضربوه وحبسوه أثناء تأدية وظيفته ؟

— فأجاب من فوره :

— ما عنديش خبر

— حصل تبليغ المركز ؟

— لو كان حصل كنا ضبطنا لها واقعة وعملنا قضية

— بالتأكيد

وأطرقت قليلاً ، وفكر المأمور لحظة ثم قال:

— حدّ بلغ سعادتك بشيء ؟

— لو كان حد بلغني كنت في الحال باشرت التحقيق

— مؤكد ؟

— المسألة يظهر أنها مجرد إشاعة

فانطلق المأمور يقول :

— هي وحياتك إشاعة ، خارجة من بطن المحكمة لتشويه سمعة المركز ، وأنت لا يخفاك أن حضرة القاضي « طالع فيها » وغرضه يشنع علينا بأي طريقة . . .

وأراد المأمور أن يسترسل ، فبادرت باغلاق هذا الباب حتى لا أزج بنفسي في هذا الشجار القائم بينهما . حسبي أني أفهمت المأمور من طرف خفي أني لست بغافل عن الموضوع ، وأني لا أحجم عن اتخاذ الاجراء اللازم فيه ، ونهضت في الحال ، ونهض معي ، وقلت مازحا :

— والانتخابات يا حضرة المأمور ... ؟

— عال

— ماشية بالأصول ؟

فنظر إليّ مليا ، وقال لي في مزاح كمزاحي :

— حانضحك على بعض ؟ ! فيه في الدنيا انتخابات بالأصول ! !

فضحكت وقلت :

— قصدي بالأصول : مظاهر الأصول

— إن كان على دي اطمئن

ثم سكت قليلاً ، وقال في قوة وخيلاء :

— تصدق بالله ؟ أنا مأمور مركز بالشرف . أنا مش من المآمير اللي انت عارفهم ، أنا لاعمري أتدخل في انتخابات ، ولا عمري أضغط على حرية الأهالي في الانتخابات ، ولا عمري قلت انتخبوا هذا وأسقطوا هذا .. أبدا ، أبدا ، أبدا . أنا مبدئي ترك الناس أحرارا تنتخب كما تشاء . . .

فقاطعت المأمور وأنا لا أملك نفسي من الاعجاب :

— شيء عظيم ياحضرة المأمور ، بس الكلام ده مش خطر على منصبك ؟ أنت على كده . . أنت رجل عظيم . . .

فمضى المأمور يقول :

— دي دايماً طريقتي في الانتخابات : الحرية المطلقة ، أترك الناس تنتخب على كيفها ، لغاية ما تتم عملية الانتخاب ، وبعدين أقوم بكل بساطة شايل صندوق الأصوات وأرميه في الترعة ، وأروح واضع مطرحه الصندوق اللي احنا موضبينه على مهلنا

— شيء جميل !

قلتها في شيء من الاستغراب ممزوج بخيبة الأمل . ولم أشأ أن أعقب على ما سمعت . ومددت يدي مسلماً . وخرجت وخرج خلفي المأمور يشيعني إلى الباب الخارجي ، وإذا بي أرى وأنا أجتاز فناء المركز شرزمة من الخفراء تتأهب للشحن في « اللوريات » ، ومن بينهم الشيخ عصفور بأسماله وعوده الأخضر ؛ فالتفت إلى المأمور أسأله في ذلك ، فقال وهو يشير بيده إلى الرجال :

— أنفار قايمة لحفظ النظام ساعة إعطاء الأصوات . . .

— والشيخ عصفور ماله ومال الانتخابات ؟

— مواويله تؤثر على عقول الفلاحين !

— يعنى منتدب للدعاية !

فابتسم المأمور ابتسامة الصادق على ملاحظتى ، وابتسمت أنا أيضاً وأنا أضيف قائلاً :

— حتى الشيخ عصفور شغلتوه فى السياسة !

فنظر إلىّ المأمور نظرة ذات معنى ، وقال فى تنهد :

— نعمل إيه بس !

وفى هذه العبارة وهذا التنهد كل الكفاية فى جعلى أرثى لحال لهذا المأمور وأقدر دقة موقفه ومسؤوليته أمام الرؤساء الذين يطلبون إليه نتائج معينة بالذات بكل الوسائل التى يراها مؤدية إلى الغرض ، فان أحجم أو تردد فصل بلا رحمة ولا شفقة

وسرت فى سيرى بجوار الشيخ عصفور فابتدرته :

— البنت ريم راحت فين ؟

فنظر إلىّ الرجل شزراً ولم يعن بالرد علىّ . فأعدت عليه الكرة فى شىء من الرفق والاستعطاف

— ريم يا سيدنا الشيخ ، خلى نفسك ويانا فى مسألة البنت ريم !

فهز الرجل رأسه ، ولوح بعوده ، وقال مترنما :

إيش راح ينوبك
من الشكيان ويفيدك
ليه ما حكمتش
على طيرك وهو فى إيدك

فابتسمت وقلت للشيخ عصفور وأنا أشير بأصبعى إلى المأمور :

— قل لحضرة المأمور ، هوالى استلم الطير !

(يتبع) توفيق الحكيم

مكافأة

لمن يدل على القاتل

تعطى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥ جنيهات لمن يدل على القاتل فى القضية المشار إليها فى « يوميات نائب فى الأرياف » للكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم التى تنشرها المجلة تباعاً على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يوليه مع بيان الأدلة بوضوح وإيجاز

فى الطريق

كتاب جديد يصدر فى سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازنى

أكثر من ٦٠ قصة فى ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

الثمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقفل فى منتصف أغسطس